مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ١٥:١-١١)

يا إخوةُ أُعرِّفُكم بالإنجيل الذي بشَّرتُكم به وقبلتموهُ وأنتم قائمون فيهِ* وبهِ أيضاً تخلُصون. بأيِّ كلامٍ بشَّرتكم به إن كنتم تذكرون إلاَّ أن تكونوا قد آمنتُم باطلاً* فإنّي قد سلَّمتُ إليكم أولاً ما تسلَّمتُهُ أنَّ المسيحَ ماتَ من أجل خطايانا على ما في الكتب* وأنَّهُ قُبِرَ وأنَّهُ قامَ في اليومِ الثالث على ما في الكتب* وأنَّهُ تراءى لصفا ثمَّ للإثني عشر* ثمَّ تراءى لأكثرَ من خمسِ مئةِ أخٍ دفعةً واحدةً أكثرُهم باقٍ إلى الآن وبعضُهم قد رقدوا* ثمَّ تراءى ليعقوبَ ثمَّ لجميعِ الرسل* وآخرِ الكُلِّ تراءى لي أنا أيضاً كأنَّهُ للسِّقط* لأنّي أنا أصغرُ الرسلِ ولستُ أهلاً لأن أُسمَّى رسولاً لأنّي اضطهدتُ كنيسةَ الله* لكني بنعمةِ الله أنا ما أنا. ونعمتُهُ المعطاةُ لي لم تكن باطلةً بل تعبتُ أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمةُ اللهِ التي معي* فسواءٌ كنتُ أنا أم أولئكَ هكذا نكرزُ وهكذا آمنتُم.

حول الرسالة

اعتدنا في أيامنا الحاضرة على اعتبار الإنجيل الكتب الأربعة الأولى من العهد الجديد، أو العهد الجديد بشكل أشمل، وهكذا يسوق غالبية المؤمنين آياتٍ من العهد الجديد على أنها من الإنجيل: «يقول الإنجيل»، «لقد ورد في الإنجيل»... ولم تُطلق كلمة «إنجيل» على الكتب الأربعة الأولى من العهد الجديد، أي متى ومرقس ولوقا ويوحنا إلاّ في القرن الثاني. إلاّ أن هذا الاستعمال الشعبي للعهد الجديد وكأنه الإنجيل، ومع أنه قد يُعتبر غير علمي، يعبّر تماماً عن واقع الحال وهو أن الإنجيل هو ما يحويه وليس مجرّد كتاب. إنه البشرى السارة التي تحمل الخلاص للذي يقبلها.

في هذا المقطع من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥:١-١١ يذكّر الرسول المؤمنين بالإنجيل، أي بالبشرى السارة التي بشّرهم بها والتي على أساسها يخلصون (١٥: ١-٢). هذا الإنجيل يقوم على عناصر أربعة تسبق كلاً منها عبارة «أنّ»: ١-المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. ٢-دُفن. ٣-قام في اليوم الثالث حسب الكتب. ٤-ظهر لصفا (١٥:٣-٥). هذه العناصر الأربعة تشكّل جوهر الإنجيل، وإن أتت بترتيب معيّن إلاّ أنها مرتبطة بعضها ببعض ولا يمكن وضع عنصر فوق العنصر الآخر في الأهمية.

شكّل التعليم عن آلام الرب يسوع وموته وقيامته جوهر البشارة في الكنيسة الأولى، وهذا ما تسلّمه الرسول بولس نفسه (١٥:٣). هذا التعليم مرتبط بشكل وثيق بالكتاب المقدس أي العهد القديم، الذي هو كلمة الله المحيية. وهو ما يقصده الرسول عندما يقول «حسب الكتب»، أي الكتب المقدسة. في الرب يسوع تحققت نبوءات العهد القديم، وبشكل آخر واضح إن الرب يسوع هو الوحيد الذي استطاع أن يحقق ما جاء في نبوءات العهد القديم. ففي موته على الصليب من أجل خطايانا حقّق صورة عبد الرب الذي ذكره اشعياء في كتابه: «هوذا عبدي يعقلُ يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً... نبتَ قُدَّامه كفَرخٍ وكعِرقٍ من أرضٍ يابسةٍ لا صورةَ لهُ ولا جمالَ... مُحتقرٌ ومخذولٌ من الناس، رجلُ أوجاعٍ... لكنَّ أحزانَنا حملَها وأوجاعُنا تحمَّلَها ونحنُ حسِبناهُ مُصاباً مضروباً منَ

العدد ٢٠٠٤/٣٤

الأحد ٢٢ آب

تذكار القديس الشهيد أغاثونيكوس

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الأول

الإنجيل

(متى ١٩:١٦-٢٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ شابٌّ وجثا لهُ قائلاً أيُّها المعلّمُ الصالحُ ماذا أعملُ منَ الصلاحِ لتكونَ لي الحياةُ الأبديَّة* فقال لهُ لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو الله. ولكن إن كنتَ تريدُ أن تدخلَ الحياةَ فاحفظِ الوصايا* فقال لهُ أيَّةَ وصايا. قال يسوعُ لا تقتُلْ. لا تزنِ. لا تسرِقْ. لا تشهَدْ بالزور* أكرِمْ أباكَ وأمَّكَ. أحبِبْ قريبَكَ كنفسِك* قال لهُ الشابُّ: كلُّ هذا قد حفِظتُهُ منذ صبائي فماذا يُنقصُني بعدُ* قال لهُ يسوعُ إن كنتَ تريد أن تكونَ كاملاً فاذهَبْ وبِعْ كلَّ شيءٍ لك وأعْطِهِ للمساكينِ فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعني* فلمَّا سمعَ الشابُّ هذا الكلامَ مضى حزيناً لأنَّهُ كان ذا مالٍ كثير* فقالَ يسوعُ لتلاميذه: الحقَّ أقولُ لكم إنَّهُ يعسُرُ على الغنيِّ دخولُ ملكوتِ السموات* وأيضاً أقولُ لكم إنَّ مرورَ الجَمَلِ من ثقْبِ الإبرةِ لأسهلُ من دخولِ غنيٍّ ملكوتَ السموات* فلمَّا سمعَ تلاميذُهُ بُهتوا جدًّا وقالوا مَن يستطيعُ إذاً أن يخلُصَ* فنظرَ يسوعُ إليهم وقال لهم أمَّا عندَ الناسِ فلا يُستطاعُ هذا وأمَّا عند اللهِ فكلُّ شيءٍ مُستطاعٌ.

اللهِ ومذلولاً، وهو مجروحٌ لأجلِ معاصينا... ظُلِمَ أمَّا هو فتذلَّلَ ولم يفتحْ فاهُ كشاةٍ تُساقُ إلى الذبحِ وكنعجةٍ صامتةٍ أمام جازيها فلم يفتح فاهُ... وعبدي البارُّ بمعرفتهِ يُبرِّرُ كثيرينَ وآثامهم هو يحملها، لذلك أَقسِمُ لهُ بينَ الأعِزَّاءِ ومع العظماءِ يَقسِمُ غنيمةً من أجل أنَّهُ سكبَ للموتِ نفسه وأُحصيَ مع أَثَمَةٍ وهو حملَ خطيئةَ كثيرينَ وشَفِعَ في المُذنبين» (اشع ٥٢: ١٣؛ ٥٣:٢-٧ و١١-١٢). وهذا ما عبّر عنه الرسول بولس بشكل آخر في رسالته إلى أهل فيليبي: «ليكن فيكم هذا الفكرُ الذي في المسيحِ يسوعَ أيضاً، الذي إذ كان في صورةِ اللهِ لم يحسِبْ خُلسةً أن يكونَ معادلاً لله، لكنَّهُ أخلى نفسه آخذاً صورةَ عبدٍ صائراً في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضعَ نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلكَ رفعه اللهُ أيضاً وأعطاهُ اسماً فوقَ كل اسم لكي تجثو باسمِ يسوعَ كلُّ رُكبةٍ ممَّن في السماء ومن على الأرض ومَن تحت الأرض ويعترفُ كلُّ لسانٍ أن يسوعَ المسيحَ هو ربٌّ لمجدِ اللهِ الآبِ» (في ٢:٥-١١). إنّه «ربّ المجد» (١كور ٢:٨).

إن عبارة «حسب الكتب» هي بمثابة الختم على حقيقة عمل الرب يسوع الخلاصي، وقد ارتبطت هذه العبارة بعنصرين لا يمكن إثباتهما مادياً في الواقع: «ان المسيح مات من أجل خطايانا» «وأنه قام في اليوم الثالث»، ولا يمكن قبولهما إلاّ بكلمة الله فقط، أي على أساس كلمة الله الموجودة في الكتاب المقدس.

نلاحظ أيضاً ان الظهور لصفا والرسل الآخرين ليس منفصلاً، لكنه جزء لا يتجزأ من رسالة الإنجيل في ما يختص بقيامة المسيح. لا نقرأ في أي من الأناجيل الأربعة أي تفصيل عن كيفية حدوث قيامة المسيح؛ كل ما لدينا هو «ظهور» المسيح القائم لرسله أو تأكيد ظهورات سابقة لآخرين بواسطة ظهورات لاحقة للرسل. وبتعبير آخر، لا نستطيع أن نتكلّم على قيامة المسيح إلاّ كما بشَّر الرسل في كلمتهم الرسولية.

من هنا نفهم تشديد الرسول بولس على رسوليته (١٥:٨-١١) لأنه إذا لم يكن رسولاً ليس هناك إثبات على صحة إنجيله، ولا يمكن بالتالي الوثوق به. أما وقد أثبت رسوليته لأهل كورنثوس فإن عدم قبولهم بتعليمه أو التشكيك به يعني عدم قبول الإنجيل الذي على أساس قبولهم له والإيمان به سيخلصون (١٥:١-٢).

كما أن الإنجيل مرتبط بالرسول، الرسول بدوره مرتبط بالإنجيل، والإنجيل أمانة بين يديه يسلّمه إلى آخرين كما تسلّمه هو (١٥:٣) ولا يستطيع أن يضيف عليه أو ينقص منه شيئاً البتّة: «لكن إن بشَّرناكم نحنُ أو ملاكٌ من السماء بغير ما بشَّرناكم فليكن أناثيما (محروماً، ملعوناً)» (غلا ١:٨). ما يقوم به الرسول هو شرح هذا الإنجيل، هذه البشرى السارة بالخلاص، بأسلوبه الخاص وبلغة يفهمها الذين يبشِّرهم حتى يحيا بها من يقبلها على أنها كلمة الله المحيية. كما قَبِلَ الرسول الإنجيل وجعله سيداً على حياته ومعياراً للخلاص هكذا يدعو من يبشرهم إلى الاقتداء به، ليس فقط بقبول الإنجيل وإنما بنقله إلى آخرين. هذا ما يُعبَّر عنه بعبارة «التسليم» أو «التقليد» (وهذه العبارة الأخيرة هي الأكثر شيوعاً في وسطنا الكنسي).

بهذه الطريقة، أي بالتسليم، نقلت لنا الكنيسة الإنجيل في ما نعرفه

تأمل

لماذا يعطي المسيح مثل هذا الجواب «ليس أحد صالحاً»؟ لأن الشاب اقترب إليه معتبراً أيّاه مجرَّد إنسان بسيط وأحد معلّمي اليهود الكثيرين ولذلك يحادثه كإنسان. في حالات كهذه كثيرة يعطي الرب أجوبة على أفكار الذين يقتربون منه... عندما يقول إذاً «ليس أحدٌ صالحاً» لا يقولها بهدف إقصاء نفسه عن الصلاح. فلا نُفكّرن هكذا لأنه لم يقل لماذا تدعوني صالحاً أنا لستُ بصالح. بل قال «ليس أحدٌ صالحاً» أي ليس أحدٌ صالحاً من البشر. وعندما يقول هذا لا يقصي البشر أيضاً عن الصلاح، بل قالها بالمقارنة مع صلاح الله. ولذلك أضاف إلاّ واحد وهو الله، ولم يقل إلاّ الآب وحده. لكي نتعلّم انه لم يكشف نفسه للشاب السائل.

وربّ قائل ما هي الفائدة من مثل هذا الجواب؟ لقد حاول الرب أن يرفع الشاب روحيًّا شيئاً فشيئاً، ويعلّمه أن يتحوّل بالكليّة عن الممالقة مرشداً إيّاه من الأمور الأرضية نحو الله ومحاولاً إقناعه بالتفتيش عن الخيرات السماوية والاعتراف بما هو صالح حقاً، إلى نبع وجذر كل الخيرات وأن يؤدي له وحده التكريم. لأنه عندما يقول «وأما أنتم فلا تدعوا أحداً معلّماً على الأرض» (متى ٨:٢٣). يقولها بالمقارنة مع نفسه لكي يتعرّف الناس اليوم بالعهد الجديد وقبلته على انه كلمة الله المحيية وعلى انه المعيار الوحيد لإيماننا في المسيح. وهذا ما عبّر عنه القديس اغناطيوس برياتشانينوف (+١٨٦٧)بقوله: «إن تعليم الإنجيل هو المصدر الوحيد لكل الفضائل الحقيقية والمسيحية المرضية لله».

العظة على الجبل: الالتزام والثقة بالله

بعد التعليم عن الصدقة والصلاة والصوم ينتقل الرب يسوع إلى الكلام عن الكنز السماوي وسراج الجسد وخدمة الله والمال وطلب ملكوت الله (متى ٦:١٩–٣٤). محور هذه المواضيع هو سلّم أولويات حياتنا، فنحن نهتم بالأمور الدنيوية التي تبعدنا عن طلب ما هو أهم، أي ملكوت السموات.

يقول السيد: «لا تكنِزوا لكم كُنوزاً على الأرض... بل اكنِزوا لكم كُنوزاً في السَّماءِ حيثُ لا يُفسِدُ سوسٌ ولا صدأٌ وحيثُ لا ينقُبُ سارقونَ ولا يسرِقونَ. لأنَّهُ حيثُ يكونُ كنزُكَ هناكَ يكونُ قلبُكَ أيضاً» (٦:١٩–٢١). الدعوة واضحة لأن يسعى الإنسان وراء الكنز الذي لا يفنى، وراء الحياة الأبدية التي لا يستطيع أن ينتزعها أحدٌ منه. كل مجد أرضي سوف يزول، والحياة هي كالظل الذي سوف يختفي ما أن تغرب شمس الحياة. المهم أن يبقى ذكر الإنسان مؤبداً بسبب الأعمال الصالحة التي كان يقوم بها خلال حياته باسم يسوع المسيح وليس لمجده الخاص.

يتعب الإنسان في حياته ويسخِّر من حوله ليجمع حفنة من المال يختلف عليها الورثة من بعده، يتعب ويجعل من كنزه هذا «إلهاً» له، ولا يعلم أنه لا يستطيع أن يعبد ربين. «لا يقدِرُ أحدٌ أن يخدِمَ سيدين. لأنَّهُ إمَّا أن يُبغض الواحدَ ويُحبَّ الآخرَ أو يُلازِمَ الواحدَ ويحتَقِرَ الآخَرَ. لا تقدِرونَ أن تخدِموا اللهَ والمالَ» (٦:٢٤). المشكلة ليست في وجود المال مع الإنسان، خاصة إذا كان هذا الإنسان يعمل بجد واستقامة وصدق. المشكلة في أن يصير عبداً لهذا المال، ويصير المال هدف حياته وفحواها. لن يصير الكنز الأرضي كنزاً سماوياً إلاّ متى وعى الإنسان انه مؤتمن من الله على هذه الأموال وسخرها لعمل الخير وإطعام الجياع ومساعدة الفقراء. فبقدر ما ينقص الكنز الأرضي يزيد الكنز السماوي، والعكس صحيح، بقدر ما يتعلّق الإنسان بالكنز الأرضي ينقص الكنز السماوي. كل شيء على الأرض معرَّض للفساد والاهتراء وللسرقة، لكن كنز السماء أبدي، وهو بعهدة الله.

مكان الكنز يشير إلى مكان قلب الإنسان ومركز اهتمامه «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (٦:٢١). فإذا كان اهتمام الإنسان يتجه نحو الأمور الأرضية الفانية فهو أرضي زائل، وإذا كان اهتمامه سماوياً فهو يتجه نحو الله وينمو به. الإنسان في يوم الدينونة، وبحسب ميزان الله، يساوي ما يساويه قلبه وحبّه.

بعد الحديث عن الكنز ينتقل الرب ليقول: «سِراجُ الجسدِ هو العينُ. فإنْ كانت عينُكَ بسيطةً فجسدُكَ كلُّه يكونُ نيِّراً، وإن كانت عينُكَ شريرةً فجسدُكَ كلُّهُ يكون مُظلماً» (٦:٢٢–٢٣). العين للجسد هي كالمصباح في البيت. فإذا كانت صحيحة فهي تسعد الإنسان، وإذا كانت مريضة (شريرة)

إلى المبدأ الأول لكل الكائنات.لن نهمل طبعاً العزم الذي أظهره ذلك الشاب عندما أخذ بمثل هذه الرغبة في اقترابه من الرب يسوع وسؤاله عن الحياة الأبدية. بينما نرى الآخرين يقتربون منه فقط لكي يشفي أمراضهم أو أمراض أقربائهم أو أمراض الغرباء، لأنّ نفسه (أي نفس الشاب) كانت مخصبةً وغنية لكنّ كثرة الأشواك قد خنقت الزرع.

أنظروا إذاً كيف أنّه في تلك اللحظة كان متهيئاً للطاعة ولتقبّل الأوامر لأنّه سأل «ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية»؟ هكذا كان مستعداً لتطبيق ما سوف يُقال له. ولو كان اقترابه من السيد بهدف تجربته لكان الإنجيلي حتماً قد أشار إلى ذلك كما يفعل في أماكن كثيرة كما في حادثة الناموسي (متى ٢٢:٣٥-٤٠). حتى وإن سكت الإنجيليّ عن ذكر هذا لما ترك المسيح الأمر بدون ملاحظة ولكان وبّخ الشاب بطريقة ظاهرة أو على الأقل لكان نوّه بذلك بإشارةٍ ما بطريقة لا نأخذ فيها الانطباع أنّ الشاب أضلّه وأفقده الانتباه. ولكانت النتيجة أن سبّب الشاب لنفسه أذيّة أكبر. ولو كان الشاب قد اقترب من الرب بهدف تجربته لما كان في النهاية ذهب حزيناً لما سمعه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

فهي ضريرة وتجلب الظلمة إلى الحياة البشرية. عندما يطيع المسيحي وصايا الإنجيل ومبادئه، فإنه ينقي بصره وبصيرته الداخلية ليخدم بشكل أفضل مهمته التي دُعي إليها بأن يكون نوراً للعالم. العين هي نافذة الإنسان إلى العالم الخارجي. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: «عندما تكون العينان ضريرتين تضيع معظم طاقة الأعضاء الأخرى. هكذا أيضاً، عندما يفسد الذهن تمتلئ حياتك بشرور لا تُحصى. فكما ان هدفنا في الجسم أن تحفظ العين سليمة،هكذا أيضاً الذهن في النفس. لكن إن شوّهنا الذهن فما الذي يمنح النور، وبأية وسيلة سنشاهد المزيد بوضوح؟ فكما ان الذي يقضي على النبع يجفف النهر أيضاً، هكذا الذي يطفئ الفهم يخزي كل أعماله في هذه الحياة. لهذا يقول السيد: إن كان النور الذي فيك ظلاماً، فالظلام كم يكون».

بعد أن ينفي يسوع إمكانية خدمة الله والمال معاً يقول لتلاميذه «لذلك أقولُ لكم لا تهتمُّوا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون» (٦:٢٥)، ويورد لهم مثَل طيور السماء التي يقيتها الآب السماوي دون أن تزرع ومَثَل زنابق الحقل التي يلبسها الله أجمل الألوان. فكم بالحري يقيتكم ويلبسكم «أنتم يا قليلي الإيمان» (٦:٣٠). الإنسان منذ فجر الخليقة إلى يومنا هذا يعيش حالة قلق على تأمين حاجياته ومعيشته. هذا القلق لا يقتصر على الفقراء، بل ربما الأغنياء يقلقون أكثر. الطريقة الوحيدة لتجاوز هذا القلق والخوف أن يكرِّس الإنسان نفسه لله دون قيود أو تحفظات. الثقة بالله هي مفتاح الحل.

علاقة الإنسان مع الله هي علاقة بنوّة وأبوَّة «... أباكم السماوي يَعلَمُ أنَّكم تحتاجون إلى هذه كلها» (٦:٣٢). وكما لا يمكن للأب أن يرد طلب ابنه، هكذا الآب السماوي الذي أرسل ابنه الوحيد ليُصلب من أجلنا لا يمكن أن يرفض طلباً لنا شرط أن نكون معه وحده ونطلب ملكوته وحده: «اطلبوا أولاً ملكوتَ اللهِ وبرَّهُ وهذه كلُّها تُزادُ لكم» (٦:٣٣). المسألة إذاً في الأخير هي مسألة أولويات:الملكوت أولاً وكل شيء آخر يغدقه الله عليك دون حساب. الدعوة لنا من خلال هذا النص الإنجيلي أن نصحِّح سلَّم أولويات حياتنا، وأن لا نضع الاهتمامات الدنيوية والإيمانية على رأس الأولويات بل في الدرجة الثانية بعد الجهاد في سبيل كسب الملكوت. هذا الكلام لا يعني بأي حال الدعوة إلى عدم الانشغال بالأمور الحياتية والدعوة إلى الكسل وعدم العمل. الدعوة هي أن يأتي الله أولاً في حياتك وكل شيء آخر يعطيه هو ويزيده لك.

من أقوال الآباء

قال الأب بيمن إن أحد الاخوة سأل الأب سمعان قائلاً: إذا غادرت قلايتي ووجدت أخي مشغولاً فانشغلت معه، وإذا وجدته يضحك فضحكت معه، لا أشعر لدى عودتي إلى القلاية أن في قلبي راحة. قال له الشيخ: وهل تريد أن تغادر قلايتك فتنشغل مع المنشغلين وتضحك مع الضاحكين ثم تعود إليها وتبقى كما كنت قبل أن تغادرها؟ قال له الأخ: ماذا أفعل؟ فأجابه الشيخ: صُنْ نفسك في القلاية وخارجها.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb